

مزايا التجربة الثورية في العراق

الرفيق العزيز أمين سر الفرع^(١)

الرفاق الاعزاء

صرتم تعرفون وبشكل أكيد وعميق ان الصلة بيني وبين مناضلي حزبنا في العراق صلة تاريخية، صلة يعجز المرء عن وصفها، وقد كنت متوسماً في حزبنا في هذا القطر العظيم، متوسماً فيه المزايا الكبيرة والمتفردة، ولكنني اعترف بأنني كنت بين الحين والآخر وعلى امتداد هذه السنين أفاجأ بما يبهر وبما يحير احياناً، اذ أتساءل كما يتساءل الكثيرون، هل هو الحزب أم الشعب؟ هل هو القائد أم الحزب أم الشعب؟ ونصل في آخر الامر بعد هذه التساؤلات الى نظرة موحدة توحد بين هذه العناصر التاريخية التي لاتوافر الا في المراحل التاريخية العظيمة.

وانا كما تعرفون ايضاً في اكثر المناسبات التي آتي فيها على ذكر بدايات الحزب وعلى الصلة التي تربط البدايات بهذه النتائج العظيمة المتحققة في العراق، احرص دوماً بدافع النزاهة على التأكيد بأن بدايات الحزب كانت متواضعة جداً، وان الفرحة التي نشعر بها امام عظمة البطولات وعظمة الانجازات التي تجلت على اروع شكل في سنوات الحرب، فرحة عميقة لانه في نفس الوقت الذي نرى فيه المسافة الواسعة والفارق الكبير بين بداية الحزب وبين هذا التحقق التاريخي لمبادئ الحزب وأفكاره نشعر ايضاً بأن صلة حية وأكيدة حقيقية وليست وهماً تربط بين تلك البداية المتواضعة وبين هذا الذي نشهده من تألق انه الايمان بأعمق صورته، الايمان الذي أتاح لنا في

(١) حديث مع قيادة فرع ابو جعفر المنصور في ٦ / ٤ / ١٩٨٦.

ظروف مختلفة جداً قبل ما يقرب من نصف القرن أن نبدأ عملاً ونرى ولو بالحلم، بالخيال، بالتصور، ما يمكن أن يعطيه في المستقبل، وأن امتنا جديدة بأن نمنحها ثقة غير محدودة، وأن نتوقع منها ومن أبنائها المعجزات، لأنها أمة متميزة، أمة الرسالة التي لا يمكن مها قست عليها الظروف ومهما ظهر التشويه وامتد وتفشى لا يمكن أن يحجب حقيقتها ولا يمكن أن ينسبها اصالتها وعراقتها، وهذا الشيء الذي خصت به، هذه النعمة الإلهية هي الكفيلة بأن ترفع غشاوات الزيف والتشويه كلما تراكمت، وأن تنتفض الروح وتهتز الاصاله، وأن تؤذن الأمة بمرحلة انبعاث جديدة.

أيها الرفاق الاعزاء

لا أستطيع ان ادلي بأي ملاحظة على ما سمعت غير التقدير الكبير والتعبير عن السعادة لهذا المستوى الذي بلغه الحزب، لهذا التكامل في مختلف جوانب النشاط والنضال والحياة القومية. أليس هذا حلم حزبنا منذ البداية ان تستعيد الشخصية العربية وحدتها وان تنطلق فيها المواهب والقدرات ملء انطلاقتها بدون عوائق، وأن يكون بينها وبين الحياة تجاوب صاف، صادق، شفاف، وتلتقط بأمانة وعمق ماتستدعيه الحياة حسب شروط الزمان والمكان، حسب شروط التطور، وأن تكون الاستجابة صادقة وقوية في آن معا.

مهما قلت في الصفات التي توافرت لرفيقنا العزيز الحبيب القائد صدام حسين، هذه الصفات النادرة التي اعطت مثل هذه الثمار في ارض خصبة وطيبة وعريقة فهذا حظ كبير للأمة وللعراق وللبعث، وأثمن ما في هذه الصفات وهذه النتائج الباهرة انها أتت ضمن الظروف وضمن القوانين، قوانين العمل والتطور، فهي باهرة ومحيرة في نتائجها ولكنها ضمن قوانين العلم وقوانين الطبيعة البشرية والنفس البشرية وقوانين الاجتماع. بدأت البدايات الصغيرة ونمت ضمن التفاعل مع الظروف ومواجهة الصعوبات والتحديات، وكان معدنها يظهر ويتكشف ويتجلى تباعاً كلما تقدم الزمن وكلما تراكمت التجربة والممارسة الى ان اصبح نموها يتصاعد حسب منطق العبقريات وليس منطق الكفاءات العادية أي بالقفزات الكبيرة التي تختصر الزمن ولكن لاتهمل ولا تقفز من فوق المراحل لكي يأتي البناء متينا وخلوا من الثغرات.. هذا هو الاعداد

الطويل والمحكم الذي سبق الحرب والذي اتاح بان تكون الحرب بهذا المستوى من النجاح، من الدقة العلمية، من التوحد في الروح بين الجميع، بين الشعب بين الجيش، كل فئات الشعب.

اعرف بانني لا ازيدكم علما - بأي شك - لانكم تعيشون هذه الحالة وتساهمون في خلقها، في بنائها، لابد انكم لاحظتم في الكلمة عن مناسبة (٧) نيسان ان هناك اهتماماً اكثر من السابق بكثير بالوضع العربي وبالظاهرة الجديدة المشجعة التي هي هذا التجاوب العربي الذي تميز عن السنوات السابقة من الحرب، هذه النتيجة هي بداية مشجعة، بداية يجب ان تتابع وان تنمى، ولو انه شيء فيه غرابة ان يحارب العراق ست سنوات حرباً تعد في مصاف الحروب العالمية وان يقدم التضحيات الجليلة ويقدم البراهين الساطعة على التفوق وان يتأخر التجاوب العربي الى هذا الوقت، وهو احسن من السابق ولكنه غير كاف ولا بد ان يتابع وينمى، حتى يقدر ان يكون له تأثير في الاحداث وتأثير في انهاء الحرب.

ان القلق الوحيد الذي يساورنا احيانا هو ان يبقى هذا الانجاز التاريخي مقتصرًا على العراق وان تنعدم الصلة بينه وبين واقع الاقطار العربية الاخرى، او ان تكون الصلة ضعيفة وان تبقى على شكل مفارقة بدلا من ان تكون على شكل تواصل لذلك يجد الحزب نفسه امام تحد هو من طبيعته كحزب قومي، من طبيعة فكرته، وهو ان يحول دون عزل تجربة العراق، ان يحول دون حصارها، ان يعمل كل ما في وسعه لكي تجد هذه التجربة التي توجتها الحرب طريقها الى عقول وقلوب جميع ابناء الامة اينما كانوا في الوطن الكبير. هذا هو الشيء الطبيعي لان هذه التجربة مصممة منذ الاساس تصميماً قومياً ولذلك جاءت الحرب لتدفع الخطر عن العراق وعن الامة كلها ولا بد ان يتصاعد هذا التجاوب وأن تبرهن ارادة الحياة في امتنا بانها اقوى من مخططات الاعداء ومن كل ما دبروه ويدبرونه من حيل ومن عوائق ليمنعوا سريان هذه الروح الى بقية اجزاء الامة ولكي تحتضن الامة هذه التجربة، وهذه الحالة الفريدة، هذه الحالة الانبعاثية، من اجل ان تعم وتنتشر، مثلما كان الايمان باننا نستطيع ان نصل الى مثل ما وصلنا اليه في العراق، من تحقق مليء للفكرة وللمبادئ، من تحقق قوي

ومشع، كذلك مطلوب ان نؤمن بنفس القوة، بنفس العمق بأن ضمير الامة سيستجيب لنداء العراق الذي هو طليعة الامة، طليعتها القيادية في مرحلة من اخطر مراحل التاريخ. كنت دوما مطمئنا على العراق ولكن استطيع القول بأنني بعد ان سمعت منكم هذا العرض ازددت اطمئنانا، فعندما تصبح القوة هي بالدرجة الاولى قوة الروح وقوة الوعي وقوة الممارسة والصلة الحية بالشعب، عندها تعجز كل قوى الاعداء على النيل من قوتنا لانها من النوع الذي لايفنى.

الحالة الجديدة في العراق أيها الرفاق هي فعلا تجسيد للخلود، تجسيد للعمل الخالد، ولذلك يشعر ابناء العراق سواء أكانوا على جبهات القتال او في الصفوف الخلفية بتواصل حي مع التاريخ المجيد، تاريخ البطولات العربية والخلق والابداع الحضاري والابداع الاخلاقي، هذه حالة لايمكن ان تتوقف، النمو والتطور والتقدم في طبيعتها وبالتالي فانها لا بد ان تتصل بروح الامة وان تكون كما هي في منطلق التاريخ بداية لنهضة الامة كلها، علما بان الامة في قناعتنا نحن البعثيين، الامة بخير ولا يمكن ان نحكم عليها من خلال تصرفات الحكام والاوضاع الشاذة المفروضة عليها، ونحن اقدر من غيرنا على رؤية النواحي الايجابية في احوال واوضاع الامة، والنواحي الصحية والتي تبشر بالانتقال الى اوضاع افضل، ولايعقل ان يكون بين الامة الواحدة التي تنتمي الى تاريخ واحد وتعيش دوما على ذكريات روحية وقومية واحدة وقيم واحدة، لايعقل ان تتحقق على جزء منها مثلما تحقق في العراق وان لاتكون الاجزاء الباقية فيها الاستعداد الكامل والتهيئة النفسية لان تتجاوب وان تعمل وتسعى من لاجل ان تحطم القيود والركام الذي يغطي جوهرها وان تتوحد في حالة نهوض شاملة، فالنضال هو قانون الحياة العربية، وهو وسيلة وغاية كما تعرفون تصل الامة عن طريقه الى اهدافها ولكنها في الوقت نفسه تكون قد ولدت من جديد من خلال النضال، النضال الذي يحرك الكوامن، القوى الكامنة للامة ويجدد لها الفرص لكي تنطلق. وكم كان بودي ان اعلق على بعض ما سمعته منكم ليس لان عندي ملاحظات بل لكي اقول واكرر بان ما سمعته هو ما كنا نحلم به دوما، هو حلم البعث في بناء هذه الشخصية العربية المتكاملة.

ولعلكم تذكرون كلمات قديمة (يجب ان تتحد الصلاة مع العقل النير مع الساعد
المفتول لتؤدي كلها الى العمل القوي المبدع . . الخ . .) هذا الحلم من بداية الحزب،
ان كل قوى الشخصية العربية يجب ان تفتح وتنطلق في تكامل وتوحد .
ومنذ بداية التجربة الثورية في العراق كنت مطمئنا الى ان التجربة تسير وفق هذا
التصور، عندما وضعت فكرة الجيش الشعبي للتطبيق مستفيدة من تجربة سابقة ومن
ايجابياتها وخاصة من سلبياتها، ان يكون البعثي هو بوقت واحد المناضل المساهم في
البناء، المساهم في التثقيف وتوعية الشعب والمقاتل المدافع عن الوطن والثورة، الحاضر
في كل ساعة وامام كل تحد مستجد، فهذه من التجارب الثمينة للحزب وقد نجح فيها
الحزب الى حد بعيد . هناك اشياء كثيرة كلها تؤكد على أصالة هذه التجربة التي
تسهمون في بنائها والتي نريد لها ان تتجلى في ابداع حضاري عربي وانساني، وقناعتي
بان شيئا كثيرا مما تحقق في العراق وخاصة في سنوات الحرب سيدخل في تاريخ الانسانية .
ولن يقتصر على كونه انجازا عربيا .

سعادتي كبيرة بلقائي بكم وبمعايشتي لهذا العهد التاريخي الذي نحياه في
العراق، واعتبر ذلك من قبيل التأكيد على اصالة هذا الحزب، بأنه مؤهل للانجازات
التاريخية، وبأنه لن يتوقف عن العطاء وان امامه طريقا طويلا ومهام ضخمة، وانه
يستطيع ان يتابع سيره بثقة متزايدة ومتعمقة بنفسه وبرسالته وبقدر امته . والسلام
عليكم .

٦ نيسان ١٩٨٦